## المبحث الأول

# انتماء كلمات العبقرية إلى حقل دلالي متقارب

للنص الأدبي العديد من المفاتيح التي تؤهلنا لفك شفرته ومن هذه المفاتيح «أن تشيع في النص الواحد بعض المفردات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد»[1].

هذه المفردات التي «يكسبها التركيب في النص معاني مختلفة تؤدي إلى تماسك النص وبنائه في جانب وإلى إنتاج دلالته من جانب آخر»[2].

«ويتكون المجال الدلالي أساسًا من مجموعة من المعاني التي تشترك في مكونات دلالية معينة ..... وبالنسبة لأية لغة ، فإن المجالات الدلالية تتكون من المعاني التي بينها مكونات دلالية مشتركة»[3].

وهذه المكونات الدلالية المشتركة يمكن وضعها تحت لفظ عام يجمعها ، وإذا نظرنا إلى عبقرية عمر وجدناها ابتداء من عنوانها تبدأ في رسم إطار لها تسير فيه طيلة فصول العبقرية .

وهذا الإطار يتضمن رصد صفات الشخصية العمرية وسردها بصورة معينة تؤهل القارئ في نهاية فصولها إلى الإقرار بعبقرية الفاروق .

---

(١،٢) الإبداع الموازي ، دكتور محمد حماسة ص ١٨٩ .

(٣) ديوان عنترة دراسة دلالية دكتور صبري إبراهيم السيد محمد، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ ص ٣١٩ .

وهذه الصفات لم يسردها العقاد سردًا اعتباطيًّا بل سردًا بطريقة تؤكد للمتلقي أنه كان يسعى من خلال هذا الترتيب الذي وردت به إلى إقناع القارئ بفكرة معينة .

ومن ثَمَّ فلن أدرس هذه الصفات منعزلة عن بعضها بل سوف أدرسها في سياقها الذي وردت فيه داخل العبقرية ، وبحسب ترتيب ورودها في العبقرية ، وذلك لأننا «لكي نفهم معنى كلمة يجب أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًّا»[1].

ومن هذا المنطلق سوف أستعين ببعض الآراء التي وردت في نظرية الحقول الدلالية التي تساعدنا في إيجاد العلاقة التي تربط بين هذه الصفات .

ومن أهم هذه المبادئ التي عليها النظرية أنه :

١- لا يصح إغفال السياق التي ترد فيه الكلمة .

٢- «استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي»[2].

ومن ثَمَّ حاولت جمع الصفات الواردة داخل العبقرية بالترتيب الذي وردت به .

ولا أسعى في هذا المضمار إلى تكوين حقل دلالي يصلح أن يكون مادة لأحد المعاجم ، ولكني أبحث عن التقارب الدلالي الموجود بين كلمات بعينها داخل سياق معين ، وكيف أسهم هذا التقارب الدلالي في تماسك النص ؟ وكيف أعطى هذا التقارب الدلالي خصوصية لنص العبقرية بحيث إننا لو حذفنا أية فقرة منها واستبدلناها بأخرى ظهر للمتلقي تنافرها مع نص العبقرية .

---

(١) علم الدلالة ، دكتور أحمد مختار عمر ، ط الثانية ١٩٩٨ ، عالم الكتب ، القاهرة، ص٧٩، ٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٠ .

في البداية سأعرض لهذه الصفات بحسب ترتيب ورودها :

## صفات العبقري

| رقم الفصل | عنوان الفصل | الصفات حسب ورودها داخل الفصل |
|---|---|---|
| ١ | عبقري | قوي النفس ـ مفطور على العدل ـ شديد . |
| ٢ | رجل ممتاز | رجل ممتاز ـ مهيب ـ رائع المحضر ـ سريع البكاء بين يدي الله ـ يتسم بالفراسة ـ رجل نادر . |
| ٣ | صفاته | رجل لا كالرجال ـ رجل عبقري ـ رجل ممتاز ـ رجل قوي ـ عظيم .<br>(كان عادلاً ـ كان رحيمًا ـ كان غيورًا ـ كان فطنًا ـ كان وثيق الإيمان ـ عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) .<br>كراهيته رياء الناس ـ التريث في إقامة الحدود .<br>(خشن الملمس ـ صعب الشكيمة ـ جافى في القول إذا استغضب ـ الرجل الحازم الصارم في سبيل الواجب ـ مودة عمر ـ فطنته ـ استقامة عمر .<br>معرض عن زخارف الدنيا ، صاحب (حيوية الروح ـ حيوية الخلق ـ حيوية الذوق ـ حيوية العقل ـ حيوية الجسد) . |
| ٤ | مفتاح شخصيته | الشجاع ـ الحازم الصريح ـ الخشن ـ المطيع ـ الغيور على الشرف ـ السريع النجدة ـ المحب للنظام ـ العارف بالتبعات والمسئوليات . |
| ٥ | إسلامه | رجل قوي غيور عزيز في قومه ـ كان بليغًا ـ كان مستقيم الطبع ، مفطورًا على الإنصاف ـ صاحب زكانة وفراسة . |

| | | |
|---|---|---|
| ٦ | عمر والدولة الإسلامية | مطبق لمبدأ الشورى والأناة في الاجتهاد .<br>سخي في تقدير الأرزاق ـ كان عادلاً . |
| ٧ | عمر والحكومة العصرية | كان عادلاً ، وفيًّا لحق الصداقة . |
| ٨ | عمر والنبي | حبه للرسول ﷺ . |
| ٩ | عمر والصحابة | كان يتسم بالحكمة والإخاء . |
| ١٠ | ثقافة عمر | كان بليغًا ـ عالمًا بالجغرافيا . |
| ١١ | عمر في بيته | يعيش عيشة الكفاف ـ غيور على المرأة ـ ابن بار . |

ومن خلال قراءة الباحثة لهذه الصفات وجدت أن العلاقة بينها لا تخرج عن :

١- الترادف Synonymy ٢- الاشتمال Hyponymy

## أولاً : الترادف

يعرف أولمان المترادفات قائلاً هي « ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق »[(١)].

ولا أعني بهذا التعريف تصنيف قائمة بالمترادفات التي وردت في العبقرية بل أعني الصفات التي وردت في نص العبقرية واستخدمها العقاد في سياقات يبرز ترادفها في لغته وهو « ترادف معتمد على السياق ، حيث تظهر الكلمتان مترادفتين في سياق خاص »[(٢)].

---

(١) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة دكتور كمال بشر ، ط الثانية عشر ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ص ١١٩ .

(٢) علم الدلالة ، إطار جديد ، ف . ر بالمر ، ترجمة : دكتور صبري إبراهيم السيد ، ط دار قطري بن الفجاءة ، قطر ١٩٨٦ ، ص ٩٩ .

ففي الفصل الأول نجد العقاد قد وصفه بأنه (عبقري) «استنادًا لما روي عن الرسول ﷺ ، « ..... لم أر عبقريًا يفرى فرية»[1].

ووصفه في الفصل الثاني بأنه (رجل ممتاز) فقال :

« إلا أن عمر كان رجلاً ممتازًا بعمله ممتازًا بتكوينه . وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد في عرف الأقدمين والمحدثين ، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين .

إذا وصفته للأقدمين الذين يقيسون العبقرية بالفراسة والخبرة عرفوا من صفته أن الذي يوصف لهم رجل ممتاز أو رجل نسيج وحده»[2].

فالعقاد في العبارة السابقة عبَّر عن نجاح الفاروق في مقاييس العبقرية بوصفه أنه (رجل ممتاز) ولكنه لم يصرح بترادف هذين الوصفين في لغته مباشرة ، بل وضع المشابهة كنوع من التمهيد ، ودلل عليه بمواقف متعددة في حياة الفاروق إلى أن وصل إلى نهاية الفصل فقال :

« ..... هو رجل ممتاز ، وعبقري موهوب في جميع الآراء»[3].

فساوى بين كون العقاد رجلاً ممتازًا ورجلاً عبقريًا .

وفي الفصل الخاص بـ (صفاته) يتطرق العقاد لوصف آخر قائلاً :

« فإذا قلت إن عمر بن الخطاب رجل قوي فما زدت على أن تقول إنه رجل عبقري أو إنه رجل عظيم»[4].

فالعقاد يؤكد في هذا السياق أن وصف الفاروق بالعبقرية يتساوى مع وصفه بالقوة والعظمة ، وكان قد ذكر من قبل أن كونه رجلاً عبقريًا يعني أنه رجل ممتاز .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

فأصبحت الصفات : (ممتاز ـ قوي ـ عظيم) تترادف في لغة العقاد مع كلمة (عبقري) ، بحيث إننا إذا قرأنا كلمة (ممتاز) على سبيل المثال في أي سياق داخل نص العبقرية نفهم أن العقاد يشير إلى قوة عمر وعظمته وعبقريته .

وأرى أن العقاد قد لجأ إلى استخدام هذه الصفات بشكل يؤدي إلى ترادفها في لغته سعيًا منه إلى إيجاد وصف أقرب لذهن المتلقي يشرح مفهوم العبقرية لدى العقاد .

« فإذا ما تطرق الغموض مثلاً إلى كلمة من الكلمات بحيث تصبح غير وافية بالغرض ، فالغالب أن نلجأ إلى كلمة أخرى مرادفة لها لكي تسد هذا النقص »[1] .

## ٢- الاشتمال Hyponymy :

« والاشتمال يختلف عن الترادف في أنه تضمن من طرف واحد ، يكون (أ) مشتملاً على (ب) حيث يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي Toxonomic »[2] .

واللفظ المتضمن في هذا التقسيم يسمى :

١- اللفظ الأعم Hyperonymy

٢- الكلمة الرئيسية Head Word

٣- الكلمة الغطاء Cover Word

٤- اللكسيم الرئيسي Archlexeme

٥- الكلمة المتضمنة Superordinate Word »[3]

---

(١) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة : دكتور كمال بشر ، ص ١١٩ .
(٢) علم الدلالة ، دكتور أحمد مختار عمر ، ص ٩٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

وتبدأ هذه العلاقة في الظهور من الفصل الثالث الموسوم بـ (صفاته) الذي يفتتحه بالصفات المترادفة في لغته قائلاً :

« نحن على هذا أمام رجل لا كالرجال رجل عبقري ، أو رجل ممتاز من خاصة الخليقة الذين لا يعدون في الزمن الواحد بأكثر من الآحاد .

أنقول رجل قوي ؟ نعم هو رجل قوي لا مراء . وكل عظيم فهو قوي بمعنى من معاني القوة »[1]. ثم قام بسرد جملة من الصفات متتالية وهي أنه :

« كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، ، وكان غيورًا ، وكان فطنًا ، وكان وثيق الإيمان، عظيم الاستعداد للنخوة الدينية »[2] .

ونلاحظ في العبارة السابقة أن هذه الأوصاف توالت باستخدام (واو العطف) عدا الوصف الأخير (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) دون وجود سبب نحوي يمنع ذلك .

وأرى أن السبب في ذلك أن قوله (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) يعد الكلمة الأشمل والأعم .

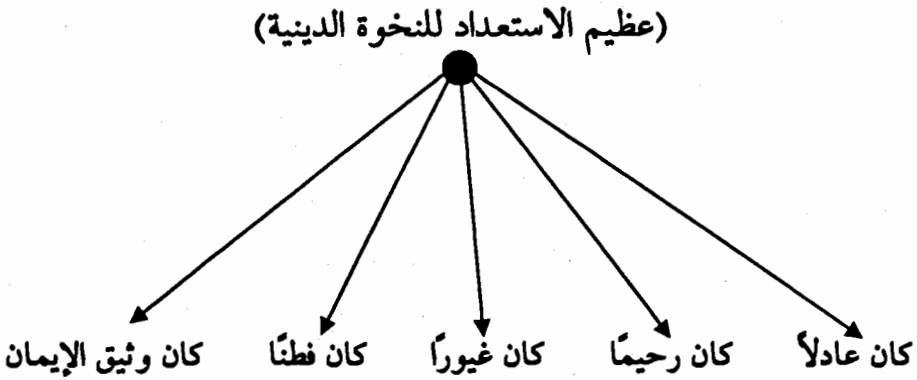


(١) عبقرية عمر ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

وما يؤيد ذلك أن العقاد ذكر هذه الصفات في الفقرة التالية مباشرة دون أن يذكر أنه : (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) ، فقال :

« فالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق صفات مكينة فيه لا تخفى على ناظر »[1] .

ثم يذكر العقاد عدداً من الصفات هي :

« كراهيته رياء الناس ـ التريث في إقامة الحدود ـ خشن الملمس ـ صعب الشكيمة ـ جافي القول إذا استغضب ـ يقسو وهو معتصم بالواجب ـ الرجل الحازم الصارم في سبيل الواجب» .

وهذه الصفات ما هي إلا روافد لوصف أصيل فيه وهو أنه (كان عادلاً) .

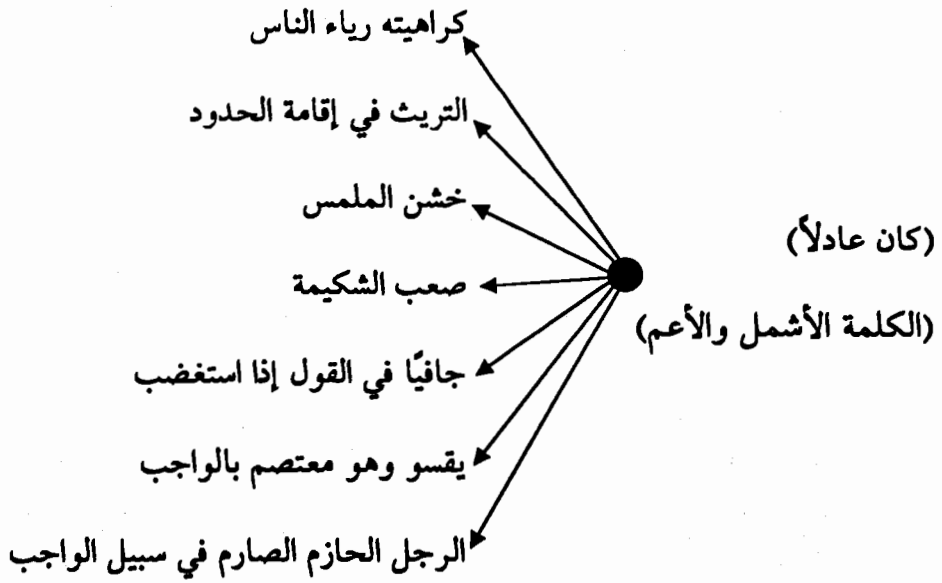


---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ .

يؤكد العقاد أن هذا العدل لم يكن عدلاً آليًا يسير وفق قوانين صارمة لا تبالي بطبيعة البشر ، وإنما كان عدلاً مقترنًا برحمة ، ومن ثَمَّ كانت الصفة التالية للأوصاف السابقة مباشرة هي : مودة عمر ، والمودة فرع من فروع الرحمة .

**الرحمة (الكلمة الأعم والأشمل) ⟵ المودة .**

وفي الفصل الرابع الموسوم بـ (مفتاح شخصيته) يؤكد العقاد أن أوصاف الجندي في أمثل حالاته تنطبق على أوصاف الشخصية العمرية ، ومن ثَمَّ اعتبر (طبيعة الجندي) هي مفتاح شخصيته .

ومن هنا يمكننا اعتبار كلمة (طبيعة الجندي) هي الكلمة الأشمل والأعم لما تفرع عنها من صفات .

ثم وصفه العقاد بعد ذلك بالفطنة وقد أرجعها إلى كونها :

« فطنة فراسة فطرية كالغريزة التي تهدي على استقامة واحدة »[1].

فنرى العقاد قد قرن الفطنة بالاستقامة ، ووصف الاستقامة بأنها استقامة قدرة وحياة غلابة ، وهذا يؤكد أن عمر بن الخطاب قد طبقها على نفسه قبل غيره ، كأنه يعود بذلك للكلمة الأشمل والأعم (كان عادلاً) ، والذي يؤكد ذلك أن العقاد أشار لعمر بن الخطاب ولأول مرة بلقب (الفاروق) عقب وصفه بالاستقامة ، وذلك يعود إلى أن ضوابط الإيمان القوي في نفس عمر ابن الخطاب كانت بالغة القوة ، فدفعته للتميز بين الحق والباطل ، فكان لقبه الفاروق وهذا الوصف دفع العقاد لأن يأتي بوصف تال مرتبط به ، فالضوابط السابقة هي التي جعلت عمر (معرضًا عن زخارف الدنيا) ولكن صاحب حيويات أخرى :

(حيوية الروح ، وحيوية الخلق ، وحيوية الذوق ، وحيوية العقل ، وحيوية الجسد) .

---

(١) عبقرية عمر ص ٣٨ .

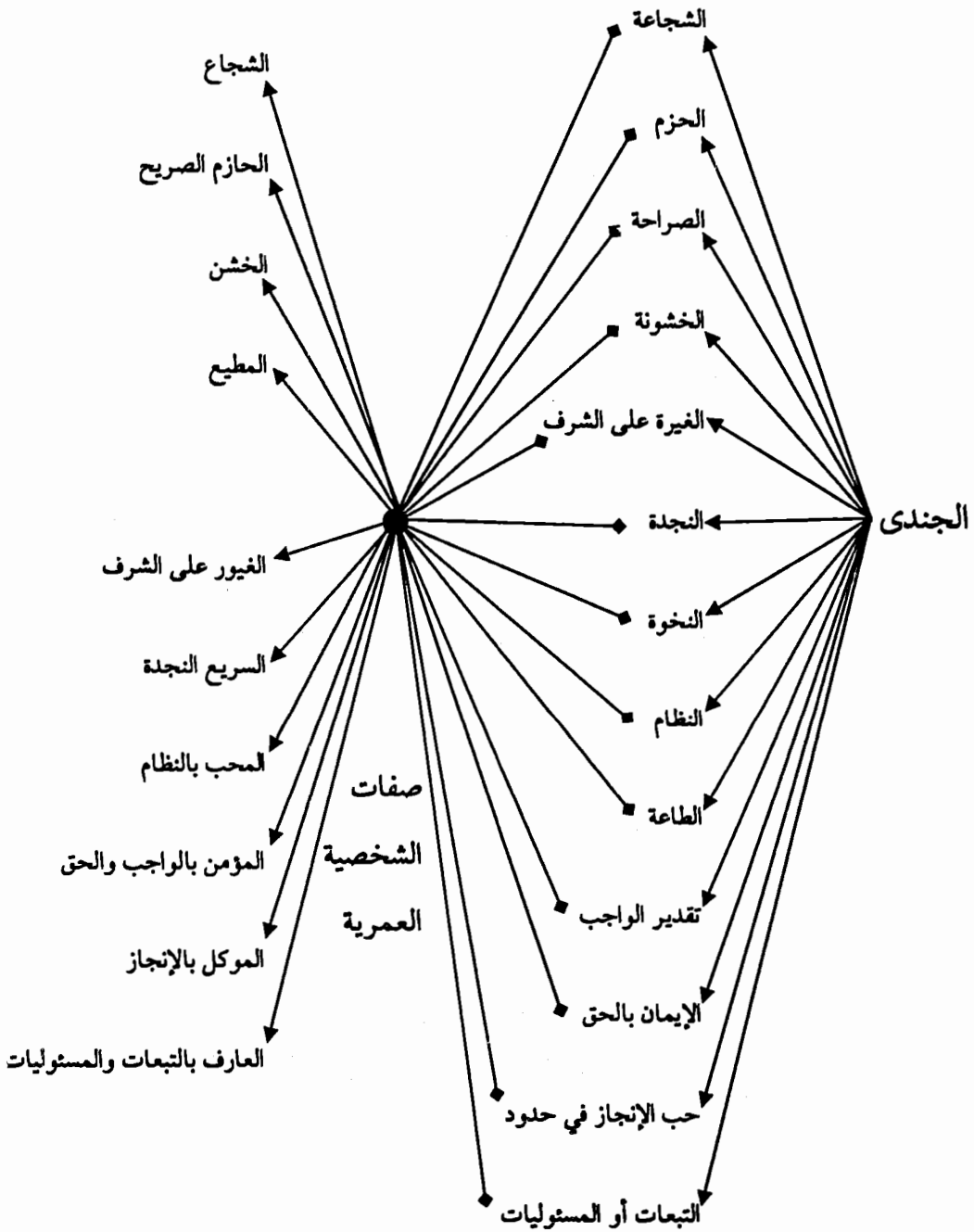
الجندى
الشجاعة
الحزم
الصراحة
الخشونة
الغيرة على الشرف
النجدة
النخوة
النظام
الطاعة
تقدير الواجب
الإيمان بالحق
حب الإنجاز في حدود
التبعات أو المسئوليات
صفات
الشخصية
العمرية
الشجاع
الحازم الصريح
الخشن
المطيع
الغيور على الشرف
السريع النجدة
المحب بالنظام
المؤمن بالواجب والحق
الموكل بالإنجاز
العارف بالتبعات والمسئوليات

ونرى العقاد من الفصل الأول وحتى الفصل الرابع يسرد لنا أوصاف الشخصية العمرية كلها ، ومن ثَمَّ جاء البحث عن سبب تواليها أو سبب ترتيبها بهذا الشكل ، أما الفصول من الخامس وحتى نهاية العبقرية فهي تقوم على سرد مواقف بعينها يستنبط منها العقاد صفات معينة وفي هذا الإطار أحاول إيجاد العلاقة بين الصفات الواردة بها والصفات الواردة في الفصول السابقة .

وبداية نجده في الفصل الخاص بـ (إسلام عمر) قد أرجع العقاد رفض عمر ابن الخطاب للإسلام إلى أنه رجل قوي غيور عزيز في قومه ، وقوته وغيرته التي أبعدته عن الإسلام كانت من أبرز سماته بعد دخوله الإسلام .

ثم ذكر العقاد بعد ذلك أن من أسباب إسلامه أنه كان صاحب زكانة وفراسة، وهذه الحاسة هي التي مكنته من إدراك بلاغة القرآن وإدراك اختلاف لغته عن لغة البشر وقال «ألم يكن في الجاهلية ينذر أن يعتكف ليلة من كل أسبوع»[1].

كأن بذور الإيمان كانت بداخل عمر ، وأضف إلى ذلك موقفه «يوم أتى لأم عبد الله بنت حنتمة وتركها تنطلق إلى الهجرة وهو يدعو لها بالسلامة»[2].

فطمعت آنذاك في إسلامه ، وفي هذا الموقف دلالة واضحة على رحمة عمر .

ومن خلال هذا الفصل نجد أن المواقف التي حشدها العقاد بداخله تدور حول الصفات التي أوردها متتالية في فصل سابق من أن عمر «كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، وكان غيورًا ، وكان فطنا ، وكان وثيق الإيمان» .

وفي الفصل الخاص بـ (عمر والدولة الإسلامية) يورد العقاد عددًا من المواقف تدور حول اتسامه بمبدأ الشورى والأناة في الاجتهاد والسخاء في تقدير الأرزاق ، وأرى أن هذا يعود إلى أنه (كان عادلاً ـ كان رحيمًا) .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ .

وفي حديثه عن (عمر والحكومة العصرية) أدار المواقف كلها حول كونه (عادلاً) ، وقد فصل القول في تطبيق عمر لهذا العدل على نفسه في المقام الأول ، تلك النفس التي تصاغرت أمام عظمة النبي ﷺ « فعمر كان يحب محمدًا حب إعجاب ، ويؤمن به إيمان إعجاب ويستصغر نفسه إذا نظر إلى عظمة محمد ، وما هو فيما خلا ذلك بصغير في نظر نفسه ولا في نظر الناس »[1].

أما الفصل الخاص بـ (عمر والصحابة) فتكشف لنا المواقف الواردة فيه عن علاقته بالصحابة المتسمة بالإخاء والحكمة ، وهذا يعود إلى أنه (كان رحيمًا ـ كان فطنًا) ، ووصفه بالفطنة كان محور كلام العقاد حول (ثقافة عمر) .

أما الفصل الخاص بـ (عمر في بيته) فدار حول كونه (غيورًا) على المرأة بصفة خاصة ، وأنه كان ابنًا بارًّا وأبًا حنونًا وهذا يعود إلى أنه (كان رحيمًا) .

ومن خلال العرض السابق أخلص إلى أن العقاد قد أدار الفصول من الخامس وحتى نهاية العبقرية حول الأوصاف الخمسة الواردة في الفصل الثالث وهي أنه :

كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، وكان غيورًا ، وكان فطنًا ، وكان وثيق الإيمان »[2].

وبعد هذا العرض أرى أن وصف أي إنسان بأنه إنسان عادل ـ بالمعنى الدقيق لهذا الوصف ـ سوف يكون عدله مُغلفًا برحمة ، مدعمًا بالفطنة ، وهذه الصفات تحتاج إلى إنسان غيور على حرمات الله ، ومن يغير على حرمات الله لابد أن يكون وثيق الإيمان .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

ومن هنا أستطيع القول أن وصف عمر بأنه إنسان عادل فقط يندرج تحته كل الصفات التي وردت داخل العبقرية .

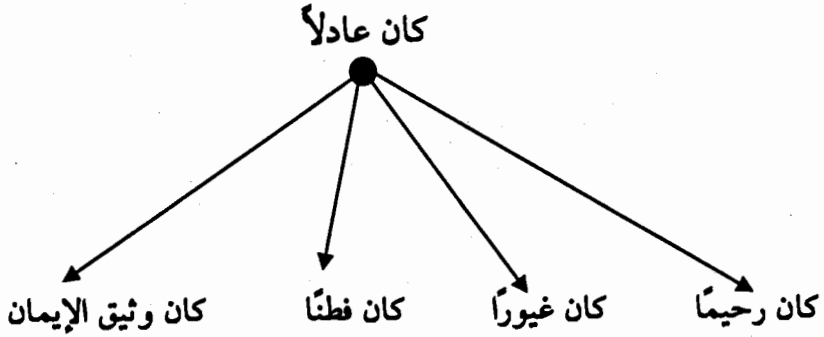


فالكلمة الأشمل والأعم في العبقرية ظهرت كأنها شجرة وارفة الظلال ، كل فرع منها يحمل وصفًا من هذه الأوصاف .

وهذا ما أعطى خصوصية لنص العبقرية ، فالعبقرية منذ بدايتها تدور في فلك المعنويات ، وحول صفات معينة تتفرع شيئًا فشيئًا ، صفات تتكامل ولا تتنافر ، فساعد هذا التقارب الدلالي بين هذه الصفات على تماسك النص المدروس ، بحيث إننا إذا استبدلنا عبارة من العبقرية بعبارة أخرى ظهر للقارئ أنها ليست من نص العبقرية .

وهكذا نجد أن العقاد سعى لتماسك فصول العبقرية كلها من خلال تقارب الحقول الدلالية بين فصولها .

* * *